هاك بكراً جاءت بمبتكرات　　من مجاني جناتها معنويه
أشربت رقة الحضارة لكن　　رويت بالجزاله البدويه
اعجبت بالمديح فيك فقامت　　تتهادى كانها حوريه
رامت الحلي في الثناء فلبث　　ها عقود الكواكب الدريه
ولكم قد تقلدت بوسام　　من مزايا الامامة القدسيه
فبدت تنتحي علاك وناهيـ　　ـك بباد اوفى على المدنيه
تستميح الرضى لكي تغتدي را　　ضية عند ربها مرضيه

بهتان عظيم (*

رمى بعض السفهاء سهما فأصاب أمته وملته فحملنا ذلك على كتابة التذكرة ورأينا ان نفتتحها بنبذة بليغة جاءت في العروة الوثقى الشهيرة في اخطارها حتى كأنها وضعت لها فنقول :

«أسف يصهر الجسم، ويذيب الفؤاد، وحسرة تقلق الاكباد، على قبيل من أمة، أو شخص منها ذي همة، يستعين الله في عمل ينقذ أمته من ضعفه، أو يرجع اليها بمنفعه ، ثم يوجد له في وجهة عمله من تلك الامة من ينجم كقرن المعز ليقطع عين العمل الفاضل فيقطع عليه اسباب العمل ويعرقله عن القصد ليكسب مدحة باطلة أو منفعة عاجلة وانما مثل من يكون على هذه الصفة فى الامة كمرض السكتة في البدن او الصرع في الرأس أو الخبل في العقل او الشجي في الحلق أو القذى في العين . هؤلاء هم الذين

(*) فاتحة العدد الثاني عشر الذي صدر في ١٨ المحرم سنة ١٣١٦

يقعدون بكل صراط يوعدون ويصدون عن سبيل الله والحق ويبغونها عوجا

« لو كان لهؤلاء العضال الطباع (الاعصل المعوج في صلابة) بقية من الانسانية او اثر من العقل يدركون به ماينشأ من أعمالهم الجزئية من المضار الكلية ويشعرون بهذا الجرم العظيم الذي يدك الرواسي ويهد الشامخات لذابوا خجلا واستتروا عن الناس بحجاب العدم وتمنوا لو محيت أسماؤهم من لوح الوجود . ولكن يظهر من جرأتهم على خطيئتهم انهم ذهلوا عن أنفسهم فلا يعلمون ماذا يعملون . هذا العمل الصغير الذي يجلب على الامة شراً كبيراً ويحرمها من خير عام ليس في وسع حكيم من البشر ان يحدد درجته من الخسة والسفالة ولا في طوعه ان يحيط بكنه الفساد الذي ضرب في طبع شخص يقدم على مثله ولا توجد كلمة ولا جملة ولا كتاب يفي ببيان حاله سوى ان يقال خائن ملته ووطنه . أولئك اشخاص كثيراً مايوجدون في الامم المعتلة يشبه ان يكون منهم » اصحاب النهج الاعوج[1] والسبيل الملتوي الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فيتذمرون ويتجرمون على البراء (تذمح له وتجرم عليه أي تجني وادعى عليه الجرم باطلاً) يقولون كذباً ويختلقون افكاً ويحرفون الكلم عن مواضعه يطفؤن بذلك نار الحسد أو يشترون به ثمنا قليلا فويل لهم مما كسبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون

ان للتجرم والتجني ضروبا كثيرة واشدها ضرراً على الامم ما كان من ذلك على علماء الامة وعقلائها الذي يسعون في اعلاء شأنها ورفع منارها ويرشدونها الى جوادّ المجد ويعرجون بها في معارج الشرف والكمال

---

(١) اشارة الى جريدة كان اسمها « النهج القويم » وهذا ابتداء كلام المنار

وقد مضت سنة الاولين في هؤلاء الاخيار بان التجني عليهم كان اكثر، والبهتان في حقهم كان أعظم، بل سكت السواد الاعظم من أهل القرون الخالية عن الطعن بدين الذين ملؤا كتب الدين والعلم بالكذب على الله ورسوله ومزجوها بالخرفات والاساطير وطعنوا بالائمة الاربعة المجتهدين ووضعوا في ذلك الاحاديث وكفروا ناصر السنة الامام أبا الحسن الاشعري وطلبوا جثته عند موته ليحرقوها فمنعتهم الحكومة وأخفت قبره لذلك وكفروا الامام حجة الاسلام الغزالي وذموا كتابه احياء علوم الدين الذي لم يؤلف مثله في الاسلام بأنه مزج فيه الفلسفة بالدين واحرقوه في العراق ومصر والاندلس وحكموا على الامام السبكي مراراً بالكفر .

هـذا بعض ما كان من شأنهم مع أئمة الشرع وانصار السنة واما الحكماء وعلماء المعقول فلم يبقوا على أحد منهم حتى جعلوا الدين عدو العقل قال ابن الوردي المؤرخ في ترجمة العلامة كمال الدين ابن معية الذي فضله أثير الدين الابهري على الغزالي مانصه « ولغلبة العلوم العقلية على كمال الدين انهم في دينه وهذه هي العادة » فتأمل قول المؤرخ « وهذه هي العادة » تعلم ما كان من عداوة الدهماء من الامة للعقل. ومن عجيب ما يروى عنهم في ذلك مانقله ابن الوردي في ترجمة ابن معية هذا قال ان ابن الصلاح الفقيه الشافعي سأل كمال الدين ان يقرأ له المنطق سراً فقرأه عليه مدة ولم يفهمه فقال : يافقيه المصلحة عندي ان تترك الاشتغال بهذا الفن لان الناس يعتقدون فيك الخير وهم ينسبون كل من اشتغل بهـذا الفن الى فساد الاعتقاد فكانك تفسد عقائدهم ولا يصح لك من هذا الفن شيء اهـ.

هذا ما كان من شأن الجماهير أيام كانت سوق العلم رائجة وتجارته رابحة فكيف يكون شأنهم في هذا العصر الذي كسد فيه ما كان رائجا وخسر ما كان رابحا وفسدت التعاليم وانحرف الكثيرون عن الصراط المستقيم

اتسدب بعض من آتاهم الله نصيباً من الحكمة وحظاً من فصل الخطاب وحبس نفسه على انارة العقول بالعلوم العالية وتنبيه الافكار الى طرق التعليم المفيدة [1] فعقد مجلساً في الجامع الازهر لقراءة علم الكلام الاعلى فازدحم عليه لشهرته الالوف وضاق الرواق العباسي حيث يقرأ بالطالبين وتوقع اعداء العقل في الاستاذ تأييد مذاهب الفلاسفة وترجيحها على مذهب المتكلمين لانه فيلسوف واذكوا عليه العيون والجواسيس ووقفوا لكلامه بالمرصاد فبدا لهم منه ما لم يكونوا يحتسبون وألفوا ان مذهبه في العقائد مذهب السلف الصالح وانه يرى مزج كتب الكلام باقوال الفلاسفة مضراً في التعليم كما يضر مزج اي فن من الفنون بآخر. ولما لم يجدوا مجالاً للطعن، ولا مساغاً للقدح، لجأوا الى الاحتيال والاختلاق، وصمموا على الافك والبهتان، وألقوا في مسامع العامة ان فلانا انكر وجود الله تعالى او وحدانيته ونفشوا في روع الذين يدعون بالخاصة ان الشيخ قال إنه يستغني بلفظ «الرحمن» عن لفظ «الرحيم» وان ذلك كان في الجامع الازهر على رءوس الاشهاد !!

ما اسرع سريان الباطل، في الشعب الجاهل، لم يمض بعض ايام حتى انتشرت الكلمة الخبيثة (انكار الوجود او الوحدانية) في مصر، وكادت تعم سائر انحاء القطر، فرددها اصحاب المحفل والنادي، وتحدث بها الملاح

(١) هو الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

والحادي، حتى ان من يتلقفها من افواه الناس يتوهم انها منقولة بالتواتر وانما مرجعها افاك أثيم ألقاها لبعض الـ ـ من اصحاب الوغم واللغم (الاخبار بالشيء عن غير يقين) فاذاعوها وساعد على انتشارها شهرة من نسبت له مع غرابة الخبر في نفسه وفي مكانه . ورب قائل هل من شبهة في كلام الاستاذ كانت متكأ لمن اذاع ذلك عنه ام اختلقوا عليه افكاً ؟؟

والجواب عن هذا يعلم مما اقصه في المسألة وهو اصدق القصص فيها لانني كنت حاضراً مجلسه الذي يحضره مع الطلاب كثير من المدرسين .

كان المتجرم عليه يشرح لحاضري مجلسه الـ ـ يقهم التي هم عليها في تحصيل العلم عقيمة، وان دعواهم انها تشحذ الاذهان وترهف حد الفكر فيقوى على الفهم غير مسلمة بالنسبة لمسائل العلم . وأن قوة الذهن في ايراد الاحتمالات والمحاورة في أساليب الكتب غير مفيدة بل هي مضيعة للعلم نفسه ولذلك لا نكاد نرى محصلاً لثمرة الفنون العربية وهي فهم الكلام العربي الفصيح والاتيان بمثله ولا لثمرة العلوم العقلية وهي الاقتدار على الاستدلال الصحيح وانما قصاري ما عند القوم حكاية ألفاظ الكتب التي بين أيديهم . قال واني أعطي مائة جنيه لمن يفسر لي منكم (يعني طلاب العلم) آية من القرآن الكريم او يقرر لي مبحثا من مباحث المنطق على فهم تام او يقيم لي برهانا عقليا على وحدانية الله تعالى يثبت مقدماته ويدفع عنها الشبه التي ترد عليها قبل ان يسمع ذلك مني . وكان كل حاضر في ذلك المجلس يعلم ان غرض الاستاذ أن يقرر لطلاب العلم تقصيرهم يستنهض بذلك هممهم ويثير حميتهم لتكميل أنفسهم بسلوك الطريقة المثلى لتحصيل العلم . فحرف المتذقح الكلام عن مواضعه واشاع قطع الله لسانه ان الاستاذ ينكر الوحدانية حيث ينكر

امكان اقامة الدليل عليها واشتبه على قوم الوحدانية بالوجود فوقع الخلاف في الاشاعة فقال جماعة انه أنكر وحدانية وآخرون انه أنكر الوجود . ولو كان لهؤلاء النوغاء عقل يرجعون اليه او علم بالدين يحكمونه في القول لعلموا انه لا يمكن لعاقل أن يصرح بعقيدته الفاسدة على ملأ من الناس في أشهر المساجد ومدارس العلم الديني وانه لو فرض انه قال لا يمكن اقامة برهان عقلي على وحدانية الله تعالى فلا يقتضي ذلك انكاره الوحدانية لجواز اكتفائه بالدليل الشرعي ولانه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول . على ان الاستاذ المتجرّم عليه قد أقام على الوحدانية أقوى البراهين العقلية في رسالته التي يقرأها في الازهر وهي بين الايدي ونسخها تعد بالالوف وقد قرر في الدرس ذلك البرهان وأوضحه بأجلى بيان .

ويل للافاك الاثيم أراد أن يطعن بمحسوده فطعن بدينه فقد وصلت أفيكته الى القسوس الدعاة الى النصرانية فطفقوا يحتجون على عوام المسلمين بأن أحد أكابر علمائكم قد قال في أشهر جوامعكم ومدارسكم على ملأ من شيوخكم ورؤساء دينكم لا يمكن اقامة دليل على وحدانية الله تعالى ومن أقام على ذلك حجة قيمة فانا أعطيه مائة جنيه . وقد عجزوا عن إجابته أجمعون . كبرت كلمة هو قائلها فقد جاءت كلمته مصداقا للحديث الشريف « ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم سبعين خريفا » .

وأما الكلمة الاخرى فقد كانت اختلاقا بحتا ، وبهتانا محضا ، فان الاستاذ بين وجه اثبات الرحيم مع الرحمن بما هو أقوى من المشهور في الكتب المتداول بين أهل العلم فقال ما مثاله : ان صيغة فعلان تدل في

اللغة على الصفات العارضة كعطشان وغرثان وغضبان وصيغة فعيل تدل على الصفات الثابتة الراسخة كعليم وحكيم ورحيم . وكلام القرآن جاء بالاسلوب العربي حتى في الحكاية عن صفات الله تعالى التي تتنزه عن مشابهة صفات المخلوقين من العروض والزوال ومن مقتضى الاسلوب العربي عدم الاستغناء في مقام المدح بالصيغة التي تدل على الوصف العارض ، عن الصيغة التي تنبيء عن النعت الثابت ، وان كان في الاولى زيادة في المبني ، تدل على زيادة في معنى الصفة . ولا يخفى على بصير ان هذا أوجه من قول الجمهور ان الرحمن هو المنعم بجلائل النعم والرحيم هو المنعم بدقائقها اذ يمكن ان يقال فيه ان المنعم بالجلائل يكون منعماً بالدقائق بالاولى وان ردوه بما لا مقنع فيه . على ان بعض العلماء قال ان الرحيم تأكيد للرحمن . ولكن المتقدم يجب التأويل له وان صادم الحقائق ، والمتأخر يجب الطعن فيه وان أظهر الدقائق ، وباب الاحتمال يسع جميع الغابرين ، ولا يجوز أن يلجه واحد من المعاصرين ، بل يتجنى على المعاصر وان لم يجن ، ويتجرم عليه اذا لم يجرم ، هذا هو مذهب علماء السوء في كل عصر ، وهذه شاشتهم في كل قرية ومصر ، وبمثل هذا القيل والقال يفسدون اعتقاد العامة ويرفعون من نفوسهم الثقة بالعلماء . ولعمر الحق انا قد شاهدنا عند هذا الاستاذ (المتقول عليه ما مر) من الادب مع القرآن ، ما لم نر مثله في هذا الزمان ، حتى انه لينهر طلاب العلم كل يوم عن اساءة الادب في الاسئلة عن كلام الله تعالى وصفاته . ولقد أنب من قال له يستغنى بوصف الصراط بالمستقيم عن قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم ووبخه أشد التوبيخ على سوء أدبه وان كان غرضه الاستفهام لا الجزم . يعرف هذا كل [illegible] من يحضر درسه ويسمع بالكلية .

فالله الله في العلم والدين واعلموا ان مضرة الفتن في هذا العصر تربي وتزيد على مثلها في العصور السالفة وعداوة العقل والعقلاء، والطعن بالفلاسفة والحكماء، تتمدى غميزته للدين، لاسيما اذا كان بعنوان الدين. ونحن نفتخر بديننا انه أرشد الناس الى استعمال العقل وحث على النظر والاستدلال وجمع بين مصالح الدنيا والآخرة وتمم مكارم الاخلاق فما لنا نتذقح ونتجنى على علمائنا وعقلائنا ونغش أنفسنا بأننا ننصر بذلك ديننا ونرضي ربنا. (سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً ان كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم)

الموفيه وما فيه

مراتب الرذائل والشرور خمس (الاولى) ان يقترف الجاهل ماتدعوه اليه صفاته الرذيلة من الفواحش والمنكرات وراء الستر وحيث لا ترمقه عيون الناس (الثانية) ان يأتيها حيث تعنّ له سراً أو جهراً فلا يبالي اطار اللوم ام وقع (الثالثة) ان يدعو اليها ويرغب فيها واهل هذه المرتبة هم الذين اطلق عليهم القرآن العزيز لقب الشياطين يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً (الرابعة) ان يفتخر ويتبجح باجتراح السيئات وارتكاب المنكرات ويباهي بها الاقران وينافس فيها الأقتال واهل هذه المرتبة هم شر الاشرار على الاطلاق كما ذهب الى ذلك بعض العلماء (الخامسة) ان يعتقد ان ماهو فيه فضيلة وكمال بحيث يود البقاء وينتقص من يخالفه فيه. واصحاب هذه المرتبة هم الاخسرون اعمالاً والارذلون اخلاقاً هم أصحاب الدرك الاسفل من الجهالة وسفاهة العقل وافن الرأي. وليس كل مجاهر بالقبيح اوداع